المصابيح السبعة

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة بورنيو

مترجمة عن الانجليزية

عند ما كبر والد الأبناء السبعة وطالت لحيته البيضاء بطول عمره ، دعا إليه ثمار بذوره وتحدث إليهم فى صوت خافت قال :

« أبنائى ! إننى أقف هنا فى مكان مظلم وتقفون أنتم حولى ولكن انظروا : ها هى أمامكم سبعة مصابيح عددها كعددكم ، فليتخير كل منكم مصباحاً يستضىء به ويتبع نوره ، ولا يأخذنكم الإعجاب بشدة ضوئها الحالى ، فإنى أنصحكم ألا تتخيروا ما قد يبدو لكم الآن أنه أحسن المصابيح وأسطعها ضوءاً . أنظروا إليها نظرة فاحصة ثم تخيروا ما شئتم ، وإنى لكم لنذير بأن اختياركم هـذا اختيار نهائى لا رجعة فيه . فتبينوا الأمر قبل أن تقدموا ، فإذا أقدمتم وتخيرتم ما استقر عليه رأيكم فلا تتحولوا عنه وأصروا على الاستضاءة به إصراراً ، إذ الأفضل أن يؤمن المرء إيماناً تاماً برأى ما ويتبعه فى إخلاص وأمانة ، وفى ثبات وإصرار — ولو كان هذا الرأى خطأ فى جوهره — أقول إن هذا أفضل من أن يتبع المرء فى تردد وضعف رأياً يؤمن فى قرارة نفسه ببطلانه ، ولو كان هـذا الرأى فى جوهره هو الحق والصواب »

فتقدم عنـدئذ الابن الأكبر ومد يده نحو المصباح الأحمر واستولى عليه ، ثم تمنطق بسيفه ودرعه وبدا على وجهه أمارات الجشع والطمع ؛ ثم صاح صيحة الوداع وانقلب على وجهه مسرعاً ليقضى حياته كلها فى السلب والنهب والإجرام .

ورأى الوالد سوء طالع ابنه وفساد رأيه ، ولكنه لزم الصمت ،

مصر والمصريين ، وتارة أخرى إلى نهر مصر أى النيل ؛ وقد أطلق فيما بعد على هذا النهر اسم نيلوس وأصله مجهول أيضاً

وهناك رأى يقول إن لفظة إجيبتوس أصلها مصرى . ويحاول هذا الرأى أن يرجع هـذه التسمية إلى « ها كابتاح Ha-ka-Ptah » أو « ها كوبتاح Ha ka Ptah » وهو الاسم المقدس لمدينة منف Memphis فى عهد مينا Mena ، ومعنـاه « مكان عبادة بتاح » إذ كان بتاح يعبد فى هذه المدينة

وأذكر أنى قرأت فى كتاب أو مقالة أن ها كابتاج ورد فى نص من النصوص القديمة بمعنى مصر ، لا مدينة منف ، وأن هذه الكلمة نقلها الفينيقيون إلى اليونان فجعلوا منها إجيبتوس . ولو صح ذلك لكان مؤيداً للرأى السابق .

وهناك رأى للدكتور أبت باشا Abbate Pacha ورد فى كتابه Aegyptiaca مصريات : فى فصل أفرده لكلمة إجيبت تحت عنوان: Onomatopée d'Egypte يخالف فيه الرأى السابق ويرجعه إلى العالم بروكش Brugsch إذ يرى أن اليونان انتشروا فى مصر فى وقت قريب فتر فيه نفوذ مدينة منف العاصمة وعبادة بتاح للعبود ، وقوى سلطان مدينة طيبة Thèbes . وقد شاركت مدينة قفط Coptos مدينة طيبة فى علو الشأن وذيوع الصيت لموقعها على طريق البحر الأحمر ومحاجر Rohanmou . وقد لعبت هـذه المدينة دوراً كبيراً ، وأصبحت مركز التجارة بين مصر وبلاد العرب والهند . ولا بد أن اليونان الذين جذبتهم روح التجارة إلى (كيمى) أولاً انتشروا فى منطقة قفط وجعلوا من اسمها اسما عاما لمصر فقالوا إجيبتوس أى بلد كبتوس . ويحتمل أن يكون أصل القبط من ذلك . وهكذا حلت إجيبتوس فيما بعد محل كيمى التى اقتصر على نقشها فى الآثار

وكثيراً ما أشارت النصوص القـديمة إلى الصعيد باسم Koptos . وقد ذكر العالم لبسيوس Lepsius عند الكلام على مصادر الذهب : ذهب الحبشة Nub en Kuch وذهب بلد كبتوس Nub en to Kopt (وقد يكون أصل تسمية بلاد النوبة بوجود الذهب بها فكلمة nub تعنى الذهب) . كما أنه ورد فى حجر رشيد كلتا Kemi و Aigyptos الواحدة ترجمة للأخرى

وإذن تكون To kept : أرض قفط، Aigyptos ؛ وقد يكون اليونان قد وضعوا مكان To الفرعونية، الموصول الحرفى اليونانى Ai الذى يدخل على الكلمة لتوضيحها أو للدلالة على صدارة الشىء

محمد طاهر نور

وأدار وجهه نحو الباقين من أبنائه يرقب ما استقر عليه رأى ابنه الثانى، وكان ضعيف الجسم قوى العقل، فتقدم ببطء وتردد وأخذ يعمل فكره فى تؤدة شأن الحكماء من بنى الإنسان، ثم ترنح قليلاً ومد يده نحو المصباح الأزرق وقبض عليه . فاغتبط الأب لهذا الاختيار أيما غبطة وقال :

« إذهب إنك لمن المبرزين ، وإنك سوف تظهر على الناس أجمعين » !

وكان المصباح الأزرق — مصباح الحق — يتلألأ أثناء ذلك

وتقدم الابن الثالث : وكان جميل الوجه حسن السمات . . . فأعجبت به النساء وشغفن به حباً ، فتخير المصباح الأخضر ذا اللهب الخافق الحائر وأخذه بين يديه ، ثم انصرف . فلما خرج من الباب ، لمح والده « صاندال » تجرى فى إثره وكانت هذه المرأة مضغة فى الأفواه لقبح سيرتها وفساد أخلاقها، فطأطأ الشيخ رأسه وقال : إن الرجل الذى يجعل النساء الجميلات قبيلته وغاية سعيه ، فيخضع لهن ويرضى أهواءهن ، لهو رجل خاسر ، إذ لا يتيسر له أن يتجه وجهة أخرى أو يعمل عملاً آخر

ولم يكد يختفى هذا الابن الذى جعل النساء شغله الشاغل فى هذه الحياة حتى سمع الجمع صوت النقود ورنين الذهب ، إذ تقدم الابن الخامس وعلى وجهه تعلو سمة المرابى ، فاختطف المصباح الأصفر وولى مسرعاً

وجاء الابن الخامس خائفاً يترقب ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى، أصفر الوجه، مرتجف اليد ... ونظر إلى المصابيح الباقية ، فتخير المصباح الرمادى — مصباح الخوف والجزع — فقبض عليه بيده الحائرة ، وتولى من مجلس أبيه وهو يرتجف فرقاً ...

وتبعه الابن السادس : وكان مدللاً ملحوظاً من يوم ولادته بعناية والديه ، فشب أنانياً محباً لذاته ، فلم يتردد ولم يتمهل ، بل اندفع نحو المصباح الأحمر — مصباح الأثرة ذى الضوء القاتم الخائر وقبض عليه ...

وأخيراً ... وقف الابن الأصغر فى تواضع وخشوع بين يدى والده ، ثم ركع على ركبتيه وأخذ المصباح الأبيض — مصباح الإيمان بالله — وقال : يا أبت ... لسوف أتبع هذا النور على الدوام فى كل مكان وكل زمان ، فى السراء والضراء ...

وصرت الأعوام ... فضمر جسم الوالد ، وانحنى ظهره ، وطال شعره ... ولكن ظلت عيناه الحادتان ترقبان — على الدوام — عودة أبنائه السبعة ...

وقرع الباب يوماً ، فلما فتحه الوالد الشيخ وجد أمامه الابن الثالث الذى تخير المصباح الأخضر فقال له : « أبى لقد تبين لى أن النساء مخادعات غادرات . ولقد احترق زيت مصباحى عن آخره . وهأنذا شريد بائس ، ولقد قابلت أخى الذى شغف بجمع المال فطلبت مساعدته ، ولكنه أبى على ذلك »

ثم عاد بعد ذلك الابن الرابع صاحب المصباح الأصفر ، فإذا بمصباحه قد خبا ضوؤه وهو ما يزال يسعى وراء المال وجمعه ؛ وكان هذا هو كل ما حصل عليه . فقال : « يا أبى ، إننى رجعت إلى دارنا لأموت » ثم سقط على الأرض وفارق الحياة

وعاد الابن الخامس ذو المصباح الأحمر وكان سلطان شهواته ورغباته وأثرته لم يبق له خليلاً ولا صديقاً ، ولم يجلب له سلاماً أو طمأنينة فرجع إلى أبيه بائساً مسكيناً

وعاد بعد ذلك الابن الخامس ذو المصباح الأخضر فإذا به قد قضى حياته كلها يحيطه الخوف والجزع ، ذلك فإنه لم يؤمن بالله ، ولم يعرف أنه أرحم الراحمين ، فاحترق مصباحه بين يديه ، ونفد زيته ، وأخذه الشك والخوف من كل مكان ، وكان نصيبه الوحدة والهزؤ من الناس أجمعين

وأخيراً رجع الابنان الباقيان معاً يحمل أحدهما المصباح الأخضر — مصباح الحق — ويحمل الآخر المصباح الأبيض — مصباح الإيمان بالله — فقالا للشيخ : « يا أبانا ، لقد هدانا المصباحان سواء السبيل فاسترشدنا بهما وسط العواصف والأنواء، وكلما حزب الأمر واشتد الإعراء وجدناهما خير معوان لنا على مقاومة النفس والشر أينما كان . وها نحن أولاء نعود إليك نشكرك ونحييك ونخلص لك »

ابراهيم عبد المجيد زكى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)